

الأديب العربي ومكافحة الصهيونية في الوطن العربي

بقلم الدكتور هاشم يحيى

جانب فرعي من جوانب ندوتنا هذه ، ولكنني على يقين من اننا اصبحنا نندرك ، وظروفنا يمثل ما هي عليه من دقة بالغة ، ان الحق وحده لا يكفي شرعيته ، وانما هو دوماً حي بمقدار استعداد اصحابه ان ينافحوا من دونه ، وان يقاتلوا ، ويضخوا باغلى ما يملكون فسي اللود عنه .

نعم انني على يقين من ان الاخوة المجتمعين في هذه النوبة قد لسوا بسبب آخر مرحلة من مراحل نكبتنا ان الدنيا لا تستطيع ان تتحسس لتصور حق قوم ليسوا على استعداد للتضحية والقتال من دونه ، مهما يكن هذا الحق واضحا وواسعا . ومن هنا كان علينا ان نتلمس السبل العملية السليمة في اللود عن حقنا والقتال من دونه ليكون في التضحية الغالية في سبيله مناخ طيب مناسب لاستقطاب عطف الدنيا اولا على هذا الحق ، ثم تحرك الدنيا بسبب الإعجاب الشديد الذي يجب ان تنتزعه بتضحيتنا في سبيل حقنا نحو الوقوف الى جانب هذا الحق ، والافتناع بدعوتنا من اجل احقاقه .

ولعل هذا ما يتطلب منا ان تكون مكافحتنا لعدونا مكافحة ذات شخصية مركبة ، وفي ميادين مختلفة لا بد من التنسيق بينها ، حتى تكون العناصر الفعالة في طليعة عمل جماهيرنا ، والعناصر المساعدة تحف بهذا العمل .

ولعلي لا اجيء بجديد اذا قلت ان الاديب العربي قد ان له ان يرى وهو يواجه هذه الظروف السوداء انه ليس في دور القيادة ، بل ينبغي له ان يفكر ان الثقافة المطلوبة للعمل الجاد المخلص ليست مقصورة على حملة الشهادات ، والاقلام ، وانما هي كامنة في اتجاهات كل من يحمل سلاحه في سبيل اللود عن وجود هذه الامة ، سواء كان هذا السلاح عسكريا ام فكريا ، ام فنيا ، ام اقتصاديا ، ام سياسيا . فصور الالتحام المتناسق بين جميع حملة السلاح على انواعه هو الذي يخل الى انه اليوم يطرح نفسه .

والاديب الملتحم بالجماهير العربية وهموما وكل ما يهدر في شعاب نفسها هو الذي يتنادى اليوم او ينبغي ان يتنادى مع سائر حملة انواع السلاح المختلفة الاخرى في مكافحتنا الصهيونية ومكافحة اعدائنا .

وما احسب الاديب العربي الا ان مدركا ان الادب الذي يعانق حقائق ما نعيشه ونمر به مهما يكن قاسيا ومرا لهو الادب الذي تتطلبه ظروفنا الصعبة التي نواجهها . ومن هنا كان على ادباء هذه الامة ان يكونوا في مستوى التنظيم العملي الحي الديناميكي الحر الذي يصل بين ما يتحرك بل يهدر في نفوسهم وبين ما يهدر في نفوس الجماهير العربية ، عدة كل فترة من فترات الكفاح والقتال والنضال ، وان التنظيم العملي الديناميكي الحر الذي يجب ان يضطلع به الادباء في هذه الامة وحاملو كل سلاح من جماهيرها في شتى ميادين الحياة لهو الذي يلعب دوره الفعال او ينبغي ان يلعب دوره الفعال في التنسيق بين ما يفعله الادباء ومختلف مؤسسات هذه الامة .

وفي يقيني ان هذا التنظيم الديناميكي الحر المنسق هو الذي يخلق المناخ اللام لكل الوان الكفاح مع عدونا ، وهو الذي يهيء سعة الحيلة لدى جماهيرنا بحيث تتصرف حسب ما يقتضيه كل موقف في اي ظرف مهما يكن مقيدا وشاقا .

اما بعد هذا المدخل ، فاني احب ان اقف عند موضوع مكافحة الصهيونية عامة او عند دور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية

في هذه الظروف العصيبة نلتقي ونحن احوج ما نكون الى اللقاء، لان الجماهير العربية ، وهم ينبوع كل عمل مخلص ، في حاجة الى ان تندغم آراء ذوي الرأي من ابناءهم بأرائهم ، وان تمتزج مشاعر المفكرين والشعراء والادباء وحاملو لواء الكلمة فيما بينهم بمشاعرهم. وما احسب نكبة بلغت من الحدة وكفر الجور وسوء النتائج ما بلغته نكبتنا في مراحلها المختلفة ، وبخاصة في مرحلتها الاخيرة، مرحلة ١٩٦٧ . ولهذا كانت مسؤولية ذوي الرأي من ابناء امتنا مسؤولية كبيرة ، باهظة .

واني اقدر ، بل اس ، اننا لم نجيء ، وظروفنا يمثل هذه الدقة التي نواجه ، لكي نتسابق على التزايد في الكلام ، بل جئنا فيما اقدر والمس كي نتدارس ما نحن فيه ، وكى نبذل اقصى ما نملك للعمل على الوصول الى نواة جادة بل مفعنة في الجهد من مشروع عمل يستقطب جميع الجهود الصادقة الخالصة في مواجهة عدونا ومكافحته، في داخل بلادنا ، وفي خارجها من بلدان الدنيا ، على ان يكون ذلك كله في مستوى ما يلاقينا ونلاقي من أحداث ، وفي مستوى ما يلح التاريخ الخاص والعام علينا ان نعمل .

ولعل هذا اللقاء بيننا ان يسعف على تلمس منهج تحليلي متعمق مدرك لجذور موقفنا وموقف امتنا من هذا الخطر الماحق الذي يهددنا كامنفا ما يكون التهديد ، ولعل هذا اللقاء بيننا ان ييسر لنا بالمهجع التحليلي المتعمق المتوخى سبل الوصول الى النواة الجادة من العمل المنتظر من امتنا في ظروفنا السوداء هذه ، فقد سئنا وسئمت امتنا طرائق التهويش والارتجال والسطحية .

واظن اننا لن نختلف على تصور ان العمل الجاد الذي تقتضيه ظروفنا سيكون في وعائين من الزمن ، وعاء عاجل لا تستطيع الايام ان تصبر علينا بسببه ، وعاء اجل تتطلب الايام ان تعد له العدة المدروسة المركبة .

واحسب ان عدونا باعباده المختلفة قد فطن لمثل هذا التصور في العمل ، وكان الوعاء الاجل الذي ينتظم أحداث عملهم وفروعه يهيء ليوم المعركة الفاصل بين مرحلة ومرحلة ، فلم تحدث المعركة الا على صورة حصاد او كفاف يقتطف ثمرات اشجار وزروع من العمل غرست وزرعت في الوعاء الاجل من الزمن ، في شتى ميادين الحياة الفكرية والثقافية والفنية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، والعسكرية. وما اظننا قبل حزيران الماضي الاسود كنا نقدر ابعاد هذه الزروع المختلفة من زروع المدو حق قدرها ، وبخاصة في اقرب ميدان من ميادين الحياة الينا ، وهو ميدان الفز والفكري والثقافي ، ولو اننا كنا على مستوى ما تمر به من ظروف لتنبهنا الى وسائل هذا الفزو الخبيثة ، ولما كانت كثرة من نابهي جيلنا قابلة لعملية التطوع الفكري والثقافي لهذا الفزو الخبيث الماكر .

واني لارجو ان تكون دراستنا لوسائل مكافحة عدونا دراسة جادة ، بحيث تتمكن من بلورة الوسائل الفعالة القوية الرنة المتطورة في الوقت نفسه ، والاخذة باحدث ما عرفته الدنيا من اساليب، وبحيث تتمكن كذلك من بلورة النبع السليم الصافي الواسع الافاق الذي يكمن في نفوس جماهير امتنا بما يمد هذه الوسائل الفعالة المتوخاة بوقودها .

ولست اظن اننا اقبلنا على ندوتنا هذه لتدارس طرق اقناع من في الدنيا بحقنا ، او لتدارس مدى ما يتمتع به حقنا من شرعية، ومدى ما يتسم به باطل عدونا من تنكر لكل شريعة مقبولة ، ولو ان هذا

خاصة .

ومكافحة الصهيونية واسعة الرقعة بحيث تشعب الى دور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية في داخل البلاد العربية ، والسى دور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية خارج البلاد العربية . وساحاول التركيز في الدرجة الاولى على دور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية داخل البلاد العربية ، واكتفي باللمحة بسيرة في التعرض لدور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية خارج البلاد العربية ، لان زميلي في الوفد الاردني الدكتور محمود ابراهيم سيتناول في الدرجة الاولى دور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية خارج البلاد العربية . وذلك ليكون في حديثي ما يتناسب مع حديثه ويكمله .

واود ان ابادر الى تلمس صورة الصهيونية بابعادها الفسيحة المركبة المعقدة على ضوء سلوكها وسيرتها في غزونا فاشير اول ما اشير الى اندغام الصهيونية البارز الذي لا تنكره عين بالاستعمار الغربي الحديث اندغاما تاما في جميع مراحل هذا الاستعمار ، واندغام الاستعمار الغربي الحديث بالصهيونية كذلك في جميع مراحلها . والامر الثاني الذي اود ان اشير اليه في ابعاد صورة الصهيونية ان الصهيونية حركة استعمارية تعتمد اول ما تعتمد على الغزو المسلح المستوطن الذي يطرد اصحاب الارض والوطن ليحل محلهم ، وذلك على طريقة غزو الهنود الحمر واخذ ارضهم وسلبها والقضاء عليهم . وقد حاولت الصهيونية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ان تفيد من ظهور الشعور القومي في بلدان أوروبا انحر التطور الاجتماعي الذي اعقب الانتهاء من طور الاقطاع وبدء عهد القوميات البورجوازية والانقلاب الصناعي .

وقد حاولت الصهيونية ان تفيد من المشاعر القومية في دعوة اليهود الذين كانوا يمرون بمرحلة التطور الاجتماعي الأوروبية السابقة الذكر ، وفي كسب عطف مشاعر الأوروبيين في دعوتهم الى مؤازرة اليهود حين يدعون الى شعار هو من شعارات ذلك العصر ، وذلك بقطع النظر عما يتعارض مع ذلك الشعار من تصادم مع مشاعر قومية اخرى كانت عند بعض العرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وقد دفع الصهيونية ذلك الى محاولة الافادة من اضطهاد اليهود المزمع ورواسبه من اقدم اليهود في نفوس اليهود ، وفي نفوس الأوروبيين كذلك ، ودفعهم هذا ايضا الى محاولة ربط ما في نفوسهم بأرض كانوا يتوهمون ان لهم صلة بها ولو كان ذلك يعود بهم الى تغطي احداث التاريخ ورقعة التخطيط الجغرافي السياسي في الارض عبر ما يزيد على الفين من السنوات ، وذلك كي تتداخل خططهم وتكسب اصداة فعالة في نفوس اليهود والأوروبيين على السواء .

ومن ثم حاولوا ان يلجروا حركتهم في مؤتمريهم المشهور سنة ١٨٩٧ ، وان يتجهوا الى فكرة غزو الارض والوطن تارة بالمحاولة مع السلطان عبد الحميد لشراء ارض يبدؤون منها تنمية نواة الارض التي يغزونها ، وتارة باخذ وعود من الدول الأوروبية بمساعدتهم ، مما ادى الى حصولهم على وعد بلفور المشؤوم سنة ١٩١٧ .

واذن فقد اتممت الصهيونية على شعار من شعارات العصر في اخرى القرن التاسع عشر واذكته في نفوس اليهود ، ومن حولهم من الأوروبيين واندغمت اندغاما تاما مع حركة الاستعمار الغربي في تلك الحقبة وتوجت ذلك بالحصول على وعد بلفور في سنة ١٩١٧ ، واتجهت اتجاها جارفا لغزو الارض والسكان تستهدف بذلك اقتصاب وطن من ايدي اصحابه وطردهم وقتلهم وتشيتهم .

وقد ساعد وقوع فلسطين وبعض البلاد العربية الاخرى في ايدي المستعمرين الغربيين على تنمية حركة الصهيونية وتهئة الجو والمناخ المناسبين لانتزاع وطن من بين ايدي اصحابه وذويه ، فنسق الاستعمار والصهيونية خطتهما : الاستعمار البريطاني يفرض صسك الانتداب المحجب القريب على مرأى من الدنيا ومسمم ، وتنفيذه تنفيذا غربيا بتهئة جميع الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية

وغيرها لانتزاع الوطن الفلسطيني من اصحابه وذويه واعطائه لليهود والصهيونية ، وكان ذلك يستنقب جهود بريطانيا اولا و جهود الدول الاستعمارية الغربية ثانيا ، ويتعاون تعاوناً لا حد له مع الصهيونية المثقلة في مؤسساتها وعلى رأسها الوكالة اليهودية ، واغراق البلاد الفلسطينية بسيل لا ينقطع من الغزاة اليهود في شكل مهاجرين . ولم يراع الاستعمار البريطاني ولا الدول الاستعمارية الاخرى في عصبية الامم ولا الصهيونية حقوق العرب اصحاب البلاد ، مما ادى بالصرب الى مقاومة هذا الغزو بثورات متصلة في فلسطين كما احبوا ان يسموه البريطاني او الانتداب البريطاني في فلسطين كما احبوا ان يسموه ليوحى باشتراك الاستعماريين الآخرين وموافقتهم في عصبية الامم ، وهو الاستعمار الغربي المندمج بالغزو الصهيوني في الوقت نفسه .

واحب ان اقف قليلا عند صورة الصهيونية المندمجة بالاستعمار الغربي هذه فاكدر على صورة الغزو التام بجميع وسائله الداخلية والخارجية ، وما اريد بهذا ان اقف عند احابيل الصهيونية والاستعمار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، والتدريب العسكري ايضا في عملية الغزو هذه ، وانما اريد ان اخلص الى الخطوط العريضة في الصورة وهي الخطوط التي استهدفت الانسان العربي منذ بداية الغزو الصهيوني ، ولا تزال تستهدفه ، وتستمر في استهدافه .

وحين اشير الى خطوط الصورة في استهداف الغزو الصهيوني والاستعمار المندمج به : الانسان العربي . . اريد ان اقف بذلك عند ظاهرة هامة في شخصية الغزو الصهيوني الاستعماري .

فالغزو الصهيوني الاستعماري كان كما اشرت يستهدف الانسان العربي ايا كانت مستوياته الاجتماعية . فحين كان الانسان العربي في فلسطين وخارجها في العالم العربي في طور اجتماعي لا يزال قريب الصلة بالاقطاعية وما يمت اليها من فروع الحياة لم يتوان الفرو الصهيوني الاستعماري في غزو مثل هذا الانسان واغتصاب الارض منه، سواء اكانت الارض لاقطاعيين من خارج فلسطين من بعض البلاد العربية ام كانت لاقطاعيين فلسطينيين ام كانت لغير الاقطاعيين، وكان الغزو الصهيوني الاستعماري يفيد كثيرا في التفرقة بين الناس اي بين الانسان العربي والانسان العربي الاخر في فلسطين ، وفي غير فلسطين احيانا بمستوى ذلك التطور الاجتماعي القديم .

وحين تطور المجتمع الفلسطيني والمجتمعات العربية الاخرى لم يتوان الاستعمار والصهيونية في غزوها الانسان العربي وارضه ان يفيدا من مستوى ذلك التطور فيحاولان اولا يفرقا بين العربي والعربي بسبب الحزبيات الدائرية آنذاك وبسبب المصالح التي قد تبدو للوهلة الاولى والنظرة السطحية انها متساعدة او متضادة .

ولكن ذلك لم يفت في عضد المقاومة العربية في فلسطين ولا في انتفاضاتها الثورية المسلحة ، وان كانت تلك المقاومة وتلك الانتفاضات اقرب الى المقاومة العفوية التلقائية . وقد كان نجاح هذه الانتفاضات في كثير من الاحيان يعود الى عفويتها وتلقائيتها واتصالها بسبب ذلك بالقاعدة الشعبية في القرى والمدن . ولكن هذه المقاومة وتلك الانتفاضات على شعبيتها ونجاحها نجاحا لافتا ما بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ لم تكن تتمتع بتخطيط قيادي مركب عميق يظن لاحابيل الاستعمارية الصهيونية المركبة المعقدة ، ومن هنا رضيت ثورة فلسطين العربية ان توقف مقاومتها المسلحة في ١٩٣٩ حين توسل الاستعمار البريطاني بسبب ما ادعاه من احوال الحرب العالمية الثانية ببعض زعماء العرب ليتعهدوا للثورة الفلسطينية في ١٩٣٩ بنتائج طيبة لثورتهم بعد الحرب اذا هم اوقفوها اثناء الحرب .

وحين انتهت الحرب عادت الصهيونية والاستعمار المندمج بها الى توسيع الغزو فتقسمت فلسطين على مرأى من دول العالم ومسمعا في الامم المتحدة ، وحدث ما حدث من كارثة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، وشنتت الشعب الفلسطيني في ظروف رهبة عصبية ، واتضح ما اريد التركيز عليه من استهداف الصهيونية والاستعمار المندمج بها الانسان العربي

أيا كانت أوضاعه الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية، فلقد طرد الإنسان العربي من فلسطين وشنت ودمر على اختلاف أوضاع هذا الإنسان، فلم يرع الفزوة الصهيوني الاستعماري طبقة هذا الإنسان ولا دينه، ولا مستواه الاجتماعي، ولا مستواه الثقافي، بل قد طرد الإنسان العربي الفني، والفقيه، وطرد السلم والمسيحي، وطرد المدني والفلاح والبدوي، وطرد المتعلم والثقافة والامي، لأن الفزوة الصهيوني الاستعماري كما اشرت إنما كان ولا يزال وسيستمر في استهدافه الإنسان العربي. ولم تتضح لبعض فئات هذا الإنسان العربي مثل هذه النتيجة القاسية إلا بعد كارثة ١٩٤٧ - ١٩٤٨، وندم الكثيرون لتهاونهم في التضحية مع سائر فئات ذلك الإنسان العربي في فلسطين ممن حملوا أعباء الفزوة الصهيوني الاستعماري وودوا لو أنهم كانوا يدركون تلك الكرامى البشعة المدمرة للفزوة الصهيوني اذن لكانوا قد جادوا بكل ما يملكون، ولالتحموا بسائر الفئات الأخرى التي كانت قد تحملت أمدح اعباء الفزوة بالرغم من قلة العتاد والمال والتنظيم.

ولكن هل حقا انظف الإنسان العربي في فلسطين وفي البلاد العربية بهذه التجربة المرة القاسية التي استهدفته في المراحل التي سبقت ١٩٤٨، واستمرت تستهدفه بعد ذلك وستستمر الى أن يشاء الله أن يوقف هذا الفزوة بقوة قادرة على إيقافه؟ احسب أن تجربة ١٩٦٧ السوداء تبين أن الإنسان العربي لم يتعظ، وآية ذلك أنه قد خيل إليه أن الطبقة أو الدين، أو المصالح الاقتصادية أو ما السى ذلك من ألوان تصنيف هذا الإنسان هي في الدرجة الأولى العامل المهم في صراعه التاريخي مع الصهيونية والاستعمار، وآية ذلك أنه، أي الإنسان العربي، قد وقعت بين فئاته المختلفة هوة مخيفة سحقت من عدم الثقة بحيث صارت فئة من الفئات ترى أن الفئات الأخرى أشد خطرا عليها فيما صورته لها أحابيل الصهيونية والاستعمار من الصهيونية والاستعمار نفسيهما.

ومن ثم رأينا تدهور قيمة الثقة بين الإنسان العربي والإنسان العربي الآخر، ونشطت وسائل الصهيونية والاستعمار المختلفة في مجال السياسة والاقتصاد والمستويات الاجتماعية، وفي الفكر والثقافة، وفي جميع الميادين نشطت في التفرقة بين الإنسان العربي، والإنسان العربي الآخر. ولو حاول العرب - ساسسة وعسكريا ومفكرين واقتصاديين ووطنيين ومتدينين - أن يقوموا بالخسارة التي منبت بها جميع فئات الإنسان العربي في حرب ١٩٦٧ السوداء لما أستمرروا على بعض من أوهام عدم الثقة بين الإنسان العربي والإنسان العربي الآخر. إن فزوة الإنسان العربي هو الظاهرة الساطعة في صورة الفزوة الصهيوني الاستعماري، وأنى أشرف في غير ليس ولا أيهام السى أن جميع فئات الإنسان العربي قد قصرت في مواجهة هذه الظاهرة المفرسة الخطرة المهددة للكان العربي كله.

وقد أخطأت فئات العرب المختلفة في النظرة الى مده، خطورة هذه الظاهرة، ومن ثم أباحت لنفسها أن تتناحر كاعنف ما يكون التناحر فيما بينها، وتعقت بعضها البعض الآخر تعد انفاص ذلك البعض وأغفلت الخطر الأكبر الذي يهددها جميعا، والذي أطاح بكل جهودها جميعا في حرب ١٩٦٧ السوداء. وقد كان للتناحر بين فئات الإنسان العربي التي تشير إليها ما بين ١٩٤٨، ١٩٦٧ ما أدى الى أن وجد الإنسان العربي نفسه (سواء من كانت يده وسائل إدارة الحكومات أم من كان مجردا من وسائل الإدارة) في خوف دائم قلق مستمر، لا من الخطر الصهيوني الاستعماري، وإنما من العلاقة بين فئات هذا الإنسان العربي أو بين أي فئة والفئات الأخرى، مما أدى الى تدمير حرية الإنسان العربي مع أنه عدة الكفاح، وبهذا أستقام طريق الفزوة المسلح أمام العدو الأكبر الصهيونية والاستعمار بعد أن استقامت الطرق الأخرى للفزوة في جميع مجالات الحياة، ووجد الإنسان العربي نفسه منقسما على نفسه في صراع مرير وقد امتلات تلك النفس بشتى ألوان التصدع والانقسام وعدم الشعور بمكاسب

النفس السوية المطمئنة في حياة كان يجب أن تكون كلها مكاسب من أجل الحرص على الدفاع عن هذه المكاسب وأولها طبعاً حرية الإنسان العربي المكافح لكل أعداء العرب.

إن الإنسان العربي الفلسطيني الذي شردته كارثة ١٩٤٨ لم يلق التخطيط العربي الحق لتحويل طاقاته وطاقات سائر أخوته في البلاد العربية الأخرى نحو مواجهة هذا الفزوة الصهيوني الاستعماري في مجالات الحياة، بل على العكس من ذلك لقي الإنسان العربي الفلسطيني بعد تشريده من فلسطين سنة ١٩٤٨ كل ما يساعد على تدمير روح الثورة أو النعمة على أعدائه الذين شردوه، ولم توضع الخطط للإفادة مما حل بنفسه بسبب تشريده، بل زيد تشريداً على تشريد حين سمح لوكالة الفوٹ الدولية أن تمتن كرامة الإنسان الفلسطيني المشرود بتحويله من إنسان قابل لأن يكون عدة الكفاح الأولى في طبيعته المكافحين لأعداء العرب من الصهيونية والاستعمار الى إنسان يهد يده ليتناول، على سبيل الشفقة، أقل القليل في سبيل سد رمقه. ولقد قصر سائر الأشقاء العرب في القضاء على هذه الصورة التي فتكت بانسانية الإنسان الفلسطيني المشرود بعد كارثة سنة ١٩٤٨، وارجو الا يستمر مثل هذا الخطأ الفادح القاتل الى ما بعد كارثة سنة ١٩٦٧ السوداء.

ولو أن العرب استطاعوا أن ينظمو ذلك تنظيماً يتناسب مع مستوى الأحداث التي يواجهونها لما صرفوا في ذلك عشر معشار مما خسروه في حرب ١٩٦٧ السوداء.

أما بعد تجربة ١٩٦٧، فهل نستطيع أن نقول أن الإنسان العربي قد انظف وأدرك أنه الفزوة قبل غيره في هذه الحرب المتصلة بيننا وبين الد أعدائنا؟ احسب أن الإنسان العربي لا تزال بقية من ضبايات تفش صورة المعركة بينه وبين الد أعدائه، والا لرأينا التنظيم أقوى وأجدى وانفع في هذه الأشهر التي تعد أخرج أيام الأمة العربية والتي اعقبت كارثة يونيو الماضي ١٩٦٧ حتى يومنا هذا.

وأذن فنحن مطالبون بأن تعظ من تجربة ١٩٦٧ المرة، وأن نهيب بكل ما نملك من صبر وتضحية وقدرة في الإقناع ومواجهة لحرب نفسية شديدة موجة الينا، أن نهيب لاعادة بناء جبهة وطنية من الإنسان العربي بجميع فئاته بحيث يلتحم في هذه الجبهة ممثلو الجماهير العربية الواسعة بالقيادة التي تتيح لنفسها أن تناقش نفسها في كل مرحلة من مراحل الكفاح والتي تتيح في الوقت نفسه للجماهير العربية الواسعة عن طريق ممثلها أن تناقش مدى الالتحام بين القيادة والقاعدة.

ولقد أن ألوان أن تلتقي جميع فئات الإنسان العربي على نواة جادة من العمل المنظم في كفاحها مع الصهيونية والاستعمار، لأن هذه النواة الجادة هي التي ستستقطب جميع الجهود في هذا الكفاح بحيث يصبح على مستوى الأحداث في جميع المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية، والفكرية والثقافية، وسائر مجالات الحياة.

إن الإنسان العربي الذي تقع على عاتقه مسئولية مكافحة الصهيونية والاستعمار ينبغي أن يتحرر من انعدام الثقة الذي يفصل قواه وبشتت جهوده في معارك جانبية بينه وبين أخيه الإنسان العربي الآخر، فحرية الإنسان العربي تكاد تكون أهم الأسلحة في الأعداد لمكافحة الصهيونية والاستعمار اللذين لا يجوز للإنسان العربي مهادتهما. فكل ما يؤدي الى مهادنة الصهيونية والاستعمار من أساليب إنما ينقلب على هذه الأمة العربية ويدهرها. وقد رأى الإنسان العربي نال الاستعمار بفرادة لا تعرفها مراحل التاريخ السابقة في سبيل تدميرنا على أبدي الصهيونية في كارثة ١٩٦٧ السوداء.

وقد يحاول البعض أن ينظر لهذا الأمر من زاوية متشائمة، ولكن نظرة الى ما جرى من بطولات خارقة لافتة في كفاح إخواننا الجزائريين لفزوة استعماري استيطاني مدمر تالت على الشعب الجزائري المظل فيه قوى هائلة ذات طول وحول وافتراس وتعصب. ونظرة أخرى لما جرى في كوبا، وما جرى في كوريا بعد استقلال كوريا الشمالية،

بخمس سنوات فقط ، ووقوف كوريا كالمارد الجبار امام حرب مدمرة ، وما يجري في فيتنام : أن نظرة آلى ما جرى ويجري في العالم يتبين لنا أن مناضلة أعتى القوى واشدها فتكا امر غير مستحيل ، بل هو امر ممكن وقابل للنجاح انتم حين يتم التنسيق بين القاعدة والقيادة ، وحين يتاح للثقة بين الانسان العربي والانسان العربي الآخر أن تؤتي ثمارها في انعمل الجاد المنظم .

وما احسب احدا بيننا يبيع لنفسه ان يصدق ان الجماهير العربية تستسيغ ان تقع في وهدة العبودية امام الغزو الصهيوني الاستعماري الاستيطاني الذي يريد لها ان تظل متخلفة ، منقرضة او كالمقرضة ، وابواب الحرية في هذه الدنيا مفتحة لمن يريد ان يدخلها ولو بعد مشقة ومواجهة لاشد انواع الاشواك .

ان براعة المفكرين والادباء والتفنتين في بلادنا العربية نخوض اليوم امتحانا ومعركة في سبيل بلورة القدر المشترك من النضال الحي بين الانسان العربي والانسان العربي الآخر في مواجهتهما وكفاحهما الصهيونية والاستعمار ، وان الاستخذاء والاستسلام والعبودية لا يمكن ان تجد لها آذانا صاغية اذا ما تلور امام الانسان العربي بمختلف فئاته القدر المشترك الجاد الذي تلتقي عليه فئات هذا الانسان العربي في مكافحة الصهيونية والاستعمار .

ان سعة رقعة الصهيونية والاستعمار وادواتهما الفتاكة في غزونا لا يجوز لها ان نفت في عصتنا بمقدار ما ينبغي لها ان تشخذ هممنا في توسيع ميادين نضالنا . وفي العالم اليوم قوى تستطيع ان ترى ان مصلحتها ، بل مصالحها الكبرى ، مهددة اذا هي لم تخف للتعاون معنا في مكافحتنا الصهيونية والاستعمار وغزوهما الاستيطاني لنا . ان الصهيونية والاستعمار بجبروتهما في وسائل الدعاية والاعلام لسم تستطيعا ان تخترقا حتى الان اقصى اليسار الماركسي واقصى اليمين الكاثوليكي في العالم وان كانت وسائلهما الفتاكة قد غزت مواطن كثيرة من رفاق العالم بما فيها رقعة عالم الدول النامية او العالم الثالث كما يقولون ، ولكن تنظيمنا جادا منا سيفضح اساليب الاستعمار والصهيونية في غزوها لنا . ولعل ما أدركته بعض الفئات اليسارية المتطرفة من تقصير سابق لها في فهم حركة الصهيونية الاستعمارية الفازية على حقيقتها قبل حرب ١٩٦٧ السوداء ، وكذلك ما أدركته بعض الفئات اليمينية أيضا ، لعل ذلك أن يبين أن المستوى الطبقي في فهم الحركة الصهيونية الاستعمارية ليس الا جزءا من الفهم العام الذي أشرنا اليه من حركة الصهيونية الفازية الاستيطانية الاستعمارية ، وان تقصير القصرين ينبغي أن يتبعه بعد اليوم فهم واسع لاخطر عملية غزو مغترسة شرسة في التاريخ الحديث تهدد الانسان العربي بجملته وكل انسان حريص على سير الحضارة البشرية في طريقها الصحيح ، وحريص ألا تسود شريعة القوة والقاب .

ولقد كشفت الصهيونية والاستعمار بأبعادهما البشعة عن وجهيهما القناع واندمفت أطعامهما وطوعت جميع فئات اليهود في داخل فلسطين المحتلة وفي أغلب رفاق الدنيا ما عدا القلة النادرة التي لا يقاس عليها ، طوعت جميع هذه الفئات - يسارية كانت أم يمينية - في مجهود غزوها لنا ، ولقد آن لنا أن نتعظ فنجمل قضية هذا الغزو الماحق قضية الانسان العربي بجميع فئاته .

وبعد فاني أود أن أشير الى اقتراحات في خاتمة هذا الحديث :
اولا - الدعوة الى مؤتمر وطني يمثل جميع الفئات في الجماهير العربية من جميع بلدان هذه الامة العربية ، ليتدارس هذا المؤتمر فكرة ايجاد نواة جادة صالحة في مواجهة الغزو الصهيوني الاستعماري على اختلاف ميادين هذه المواجهة سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية وثقافية وفنية ، وكل ما يجمع الطاقات .

وثانيها - الدعوة الى مؤتمرات وطنية اخرى تبحث في الوسائل الآجلة بعد استكمال الوسائل العاجلة في مواجهة الصهيونية كسان تبحث في انشاء معهد عربي للدراسات الفلسطينية يدرس لطلبة أتوموا مرحلتهم الجامعية الاولى - أي الليسانس والباكوريوس - مقررات تضم كل ما يتصل بالشخصية الفلسطينية والغزو الصهيوني والاستعماري .

وثالثها - انشاء دار نشر عربية يكون من مهامها :

أ) نشر الكتاب العربي في مواجهة الصهيونية والاستعمار .
ب) نشر أبحاث علمية مستقصية تقوم بها لجنة من الباحثين العرب وغير العرب ممن يؤازرونهم حول فلسطين والغزو الصهيوني الاستعماري لها .

ج) نشر مجلة شهرية تتصدى لمعالجة كل ما يتصل بشخصية فلسطين والغزو الصهيوني الاستعماري لها ، وتآلب الصهيونية والاستعمار على فلسطين والعرب والانسان العربي الحديث .

د) نشر جريدة يومية تتصدى لمعالجة كل ما يتصل بأخبار فلسطين والغزو الصهيوني الاستعماري لها .

هـ) تكوين دار اذاعة عربية ذات مستوى رفيع تعالج كل ما يتصل بفلسطين والغزو الصهيوني الاستعماري .

ورابعها - الدعوة الى مؤتمر وطني عربي للبحث في أنجع الوسائل لتقوية الكيان الفلسطيني وجعله في مستوى ما نلاقه من غزو صهيوني استعماري .

وخامسها - محاولة نقل التراث الثوري العالمي في هذه الفترة الدقيقة التي نجتازها ووضعها واضحة ميسرة في أيدي جماهيرنا العربية لتستضيء بضياؤها وتفيد من تجارب الآخرين الفنية ، وليشد ذلك كله من صمود الانسان العربي ، في داخل فلسطين المحتلة ، وصمود سائر العرب في دنيا العرب الواسعة ، رغم كل ما يلاقونه من ضغوط في كفاحهم الصهيونية والاستعمار ، ورغم ما يوجه اليهم من حرب نفسية شرسة الى جانب الحرب الساخنة الفعلية التي يلقاها الانسان العربي في داخل فلسطين المحتلة ، والتي تنتظر سائر فئات الانسان العربي المكافحة في خارج فلسطين .

ولعل ذلك أن يدحض السدعاية الضخمة التي توهم الناس بأسطورة قوة اسرائيل لتخفي حقيقة انشبح الاستعماري وراءها ، ولتخدل روح الصمود العربية الجبارة .

هاشم ياغي

عمان

صدر حديثا

رؤيا في الطريق

شعر

تأليف

الياس طعمة